

بغية الطلب في تاريخ حلب

@ 3486 @ فخاص وعبر ووقف يشق خفه حتى نزل منه الماء وقد تبعه ممالك المسترشد إلى ذلك الموضوع فسألوا العجوز فضيعتهم عنه إلى موضع آخر فلم يقدرُوا عليه وانحدر إلى أن لحق بالعرب والتف بهم وظهر بالبصرة بعد سنة فدخلها وهرب أمير البصرة ودخل دار الإمارة وحكم وقال أتدرون من نصحتني وإني ما نصحتني غير ابن العودي الشاعر فإني لو قبلت منه ذلك اليوم وقتلت الذين سيرهم المسترشد للصلح لبقى المسترشد مدة حتى يحصل رجالا مثل أولئك يعتضد بهم ولما رجع دبّيس إلى العراق ملك العجوز أم الأمين القرية وهي تعرف الآن بها . أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الشريف الهاشمي قال أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني قال دبّيس بن صدقة بن منصور ابن دبّيس بن علي بن مزيد الأسدي أبو الأغر من ملوك العرب وكان فاضلا مهيبا كريم الأخلاق ولعل ما أنجبت عرب البادية بعده بمثله وقد ترامت به الأسفار إلى أكناف الأمصار وتقلبت به الأحوال إلى ارتكاب الأهوال ورد بلاد خراسان وجال في أطرافها مدة في ظل السلطان سنجر بن ملكشاه وكانت خاتمة أمره أن فتك به في قصر السلطان وختم به شرف بيته .

قلت هذا قول أبي سعد السمعاني ولعله رحمه الله لم يبلغه خبر دبّيس واتفاقه مع الفرنج على حصار حلب وبذله أموال المسلمين وأنفسهم لأعداء الدين على ما ذكرناه وبيناه ولو بلغه هذا الفعل المستهجن القبيح الذي لا يصدر عن من خلس إيمانه وإن جرى بلفظ الشهادة لسانه ولا يقع إلا من سخيף الرأي سيء التدبير لما قال ولعل ما أنجبت عرب البادية بعده بمثله وقال وختم به شرف بيته هذا مع علم دبّيس أن البغدوين ملك الفرنج كان مأسورا في حبس بك بن أرتق وأن تمرتاش أطلقه من الأسر وهادنه على أن لا يخرج عليه فغدر بالهدنة مع تمرتاش والمسلمين ولم يف له بما استقر معه في اليمن ولعل البغدوين لو تسلط على حلب لما وفى لدبّيس بما كان قرره معه من ملك المدنية ولعمري لقد محا دبّيس شرف أبيه صدقة ومكارمه المحققة ومآثر آبائه وأجداده